ابو العلاء المعري

شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء

— ٢ —

بقلم الاستاذ شمس الدين الخطيب

فساد الاوضاع في عصره :

لفساد الحياة الاجتماعية اثر كبير في فساد الحياة الخلقية فاذا فسدت الحياة الاجتماعية فسدت الحياة الخلقية هي ايضاً والمطلع على آداب عصر ابي العلاء يعرف حق المعرفة الفرق العظيم بين الفضيلة وبين اخلاق ذلك العصر . فلا يجد فيه اكثر من الادب المكشوف الذي ان دل على شيء فانما يدل على انحطاط الاخلاق وترديها . حيث تنجسم الدعارة وقبح المجون ومن شاء الوقوف على ذلك فما عليه الا ان يرجع الى كتاب يتيمة الدهر للثعالبي تفيه مقنع . كما فشى في الناس في ذلك العصر خلق المكر والخداع والغدر والنفاق والحذر والاحتراس والكذب والوشاية والانانية المقيتة وحب النفس كل اولئك انما كان نتيجة لازمة لفساد الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ومنه يظهر لك السر في اعتزال ابي العلاء اهل عصره وابتعاده عنهم وتشنيعه عليهم .

ازدهار الحياة العقلية في عصره

بلغت الحياة العقلية في هذا العصر اوج عظمتها ورفعتها فقد كانت هذه تسير سيراً عكسياً مع الحياه السياسية والاجتماعيه فعلى قدر انحطاط تينك الحياتين كان رقي هذه الاخيرة . اما سبب رقي الحياة العقليه في ذلك العصر فهو ان هذا العصر كان قد

غير هذه الايات الكريمة الدالة دلالة واضحة على ان التعاون شرط من شروط الاسلام المهمة ، وان الدين الاسلامي هو دين اجتماعي ، ومنه عرفت شروط الوحدة الكاملة .

هذه الاية السابعة والسبعين بعد المئة من سورة البقرة تعطينا خير درس يغنينا عن مئات القواعد الاجتماعية

قال سبحانه : (ليس البران تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من اتقى وآمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ، والنبيين ، وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) وهذه آيات من الايات الكريمة تحط الانانية من عليائها وتحطمها تحطيما كي لايشمخ رئيس على مرؤوس بانفه ، ويستعبد القوى الضعيف قال تعالى (ياايها الناس انا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وهذه الاية الرابعة عشر من سورة الروم جمعت مافي محاسن الاخلاق من معنى الكلمة . حيث قال عز من قائل (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم)

بفضل هذه التعاليم السامية الرفيعة تمكن المسلمون من تكوين وحدة قومية مبنية على اسس ثابتة غير قابلة للتصدع والانهيار . ومما لامشاحة فيه لواننا اخذنا بعين الاعتبار ماانحطه لنا مرشدنا الاعظم (ص) من خطط ابان انا فيها سبل النجاة والنجاح ؛ واوضح مافيه صلاحنا واصلاحنا .. لكنا (خير امة اخرجت للناس) لكن — ويالاسف — اصبحنا من جراء اهمالنا هذه التعاليم الرفيعة وتثبطنا عن الاخذ باوامرها .. اصبحنا ينطبق علينا قوله تعالى في سورة الحشر (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) بينما كان الاولى لنا ان ينطبق علينا قوله سبحانه في سورة الصف (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص)

والانكا من هذا اذا عثرنا على كتاب اجتماعي لاحد الغربيين اخذنا نكيل لمؤلفه آيات التقدير والاعجاب ويوصي احدنا الآخر باقتنائه . وقد يغالي في مدحه فيقول انه احسن كتاب اجتماعي في حين لايعرف من الاجتماع والمجتمع سوى اللفظ ، ولو كان حقيقة يريد الوقوف على معرفة شروط الاجتماع لما توانى عن تلاوة القرآن الكريم واقتناء بعض التفاسير ليستعين بها على مالم تتسنى له معرفته من شروط الاجتماع وقواعد المجتمع .

الخلاصة لولم يفد الاسلام العالم بسوى تعاليم القرآن الاجتماعية لكفى .

البصره — عبد الرزاق العائش

انتهت اليه نتائج الثقافات الاسلاميه منذ فجر الاسلام حتى هذا العصر . فقد ورث هذا العصر ماخلفته العصور الاسلامية كافة العلوم والمعارف وقد كانت هذه سائرة بادئة ذي بدئ سيراً مطرداً جنباً لجنب مع تقدم الحياة السياسية الاسلامية واستمرت في تقدمها بعد ضعف الحياة السياسية . اذان تقدم الحياة السياسية اوقفته ظروف خاصة به اما التقدم الفكري فانه لم يقف امامه اي عامل معاكس بل بالعكس . اذ ان العلماء والادباء والشعراء كانوا المقدمين عند رجال السياسة والملك بل مامن حظوة الا وهي لهم كل ذلك شجعهم على الاستمرار في مواصلة جهودهم مساعيهم

ولاسيما الشعراء منهم فان ملوك الطوائف اتخذوا منهم وقاية لحياتهم بالدفاع عنهم باللسان دون السنان بما كان ينشره هؤلاء الشعراء من سباب وقذف لمن يتعرض لامير او زدري بوزير

فانتشرت الكتب الفلسفية الفارسية والهندية والرومية واليونانية ككتب ارسطا طاليس وافلاطون واقليدس وبطليموس وجالينوس في الفلسفة الطبيعية والرياضية والالهيه والادبية ولذلك ظهر اغلب الفلاسفة في هذا العصر كما ظهر الحكماء والمتصوفون في كل فن من فنون العلم . كما كثر التأليف في هذا العصر حيث اخذ العلماء يدونون تأريخ العرب والاسلام فظهر الطبري والمسعودي والبيروني والبلخي وغيرهم وأدت حركة التأليف هذه الى قيام المؤرخين برحلات وسياحات في سائر الاقطار الاسلامية للاطلاع على اوضاعها والكتابة عنها وهذا جر حتما الى دراسة علم تقويم البلدان (الجغرافيا) لان التأريخ والجغرافية عاملان متصلان اتصالا وثيقاً ولان جغرافية اليوم تأريخ المستقبل . ومن علماء هذا العلم ابن حوقل والهمداني وابن خرداذبة والاصطخري وقلما تجد مؤرخاً الاوله علم بتقويم البلدان علماً تاماً . وازدهار الجغرافية والتأريخ في عصر ابي العلاء هو الذي اطلق لسانه بهذا البيت :

ماسر في الدنيا بنو زمن الا وعندى من اخبارهم طرف

ولذلك ملأ اللزوميات بالانباء التاريخية .

وكما تقدم علم التأريخ والجغرافية في هذا العصر فقد تقدم علم الهيئة ايضاً وهو علم « الفلك » ولهذا العلم عند المسلمين أربعة مصادر «١»

١ ـ ما ورثوه عن العرب في بداوتهم من مقالاتهم في النجوم .

٢ ـ ماترجموه عن اهل الهند ايام المنصور .

٣ ـ ماترجموه عن الفرس ايام المنصور .

٤ ـ ما ترجموه عن اليونان ايام الرشيد والمأمون .

ولكل مصدر تأثيره الخاص .

فتأثر الادباء والشعراء بالمصدر العربي واتخذوا من اساطير العرب في النجوم فنوناً من القول يصرفونها في الجد والهزل ويدلون بها على علمهم بالادب العربي وفنونه وابو العلاء اشدهم تأثراً بهذا المصدر وليس ادل على صحة ماقول من قصيدته النونية التالية التي وصف النجوم بها فابدع ايما ابداع :

غير مستحسن وصال الغواني بعد ستين حجة وثمان
علالني فان بعض الاماني فنيت والزمان ليس بفاني
ان تناسيتما وداد اناس فاجملاني من بعض ماتذكران
رب ليل كانه الصبح في الحسن وان كان اسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو وقف النجم وقفة الحيران
ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان
هرب النوم عن جفوني فيها هرب الامن عن فؤاد الجبان
وكأن الهلال يهوي اثريا فيها للوداع معتنقان

وهي طويلة فراجعها في « سقط الزند »

وكان المصدر الهندي والفارسي مادة علم النجوم عند المسلمين وهو تلك الصناعة التي كان يترزق بها المنجمون ويخدعون بها العامة حين يحدثونهم بانباء الغيب ويتكهنون عمالهم سيأتيهم به مستقبل الايام وهم الذين سخر منهم ابو العلاء وحباهم ما يستحقون من اهانة واحتقار جزاء تضليلهم وتدجيلهم . وذلك حيث يقول :

لو كان لي امر مطاع لم يشن ظهر الطريق يد الحياة منجم
يغدو بزخرفه مجادل مكسباً فيدير اسطرلابه وينجم
وقفت به الورهاء وهي كأنها عند الوقوف على عرين نهجم
سألته عن زوج لها متغير فاهتاج يكتب بالرقاق ويعجم
ويقول مااسمك واسم امك انني بالظن عما في القلوب مترجم
يولي بان الجن تطرق بيته وله يدين فصيحها والاعجم

كما تعلم العرب من المصدر اليوناني علم الفلك الحقيق وما يستتبعه من رصد الكواكب وتوقيت الحوادث وقياس الزمن

الحياة الادبية في عصره

ليس عصر من العصور الاسلامية تقدمت فيه الحياة الادبية اكثر ولارقي من عصر ابي العلاء فقد ازدهر بالشعراء النوابغ

«١» راجع المصدر السابق

والكتاب الافذاذ كالمتنبي والرضي وابن العميد والمعري والصابي وابن عباد وغيرهم . فقد كان الشعر راقياً في لفظه بصحة الاسلوب ورصانة التركيب وعذوبة المعاني راقياً في اخيلته ومعانيه والفاظه لمجانبته الغريب الوحشي ورغبته عن الهجين السوقي وقد عظم اثر الصناعة البديعية فيه فما تكاد تخلو منه قصيدة واحدة . الاان هذه الصناعة لم تفسده كما لم تذهب برونقه بل كانت محسنة له .

وتأثر الشعر بالفلسفة التي صبغته بصبغتها من الابتعاد عن فضول الكلام وزيادته والاقتصار على مدلول اللفظ بانتقاء الالفاظ الدقيقة المعنى فدخلت فيه الفاظ جديدة كالجوهر والعرض والطباع الاربعة . وغيرها مما يفيض به شعر المتنبي وابن العميد والرضي ولما كانت المعاني تترقى برقي العلوم والحضارة . وحيث ان العلوم والحضارة قد بلغت اوجها في ذلك العصر فلذلك فقد رقت معاني الشعر برقيها

وكثر عدد الشعراء بكثرة عدد الممدوحين من ملوك الطوائف والامراء كما كثر التكسب بالشعر ويقال ان الصاحب ابن عباد بنى قصراً هنأه به خمسون شاعراً وان حماراً مات له فرثي بما يزيد على الخمسين قصيدة .

وتفنن الشعراء في هذا العصر وكثر الشعر مما يدل على شدة القوة الشعرية في نفوس الشعراء واوجد ابو العلاء الشعر الفلسفي الذي ملأ اللزوميات منه .

وترقت الكتابة ايضاً بمطابقة اللفظ المعنى ، مطابقة المعنى للغرض وانتقاء الالفاظ المألوفة غير المبتذلة ولا الغابية التي لم تخرجها الصناعة الى التكلف الممقوت او التعمل المرذول . كل ذلك تراه ظاهراً في كتابة هذا العصر كرسائل بديع الهمداني والصابي والصاحب بن عباد وابن العميد .

وقد الفت معاجم اللغة في هذا العصر كالتهذيب للازهري والجمهرة لابن دريد والمجمل لابن فارس وصحاح الجوهري . كما ظهرت كتب الادب كالاغاني لابي الفرج الاصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي وديوان المعاني لابي هلال ويتيمة الدهر للثعالبي .

بقلم شمس الدين الخطيب

لاتلمني

للاستاذ عبد الرحمن رضا

لاتلمني انا ان ارسلتها صيحة شاك ... لاتلمني
فانا احيا اسيراً في قيود وشراك ... بل اعني

* * *

كلما اطلقت نفسي من كبول الرغبات
عاد بي للقيد يأسي واعترتني المثرات
فيزيد اليأس بؤسي وشقائي في الحياة
ويح لي ما كان امسي مفعما بالحادثات
لاولا دني وكاسي اترعا بالنكبات
فمتى امحو بحسي وشعوري كملاك ... خاب ظني
لاتلمني انا ان ارسلتها صيحة شاك ... لاتلمني
فانا احيا اسيراً في قيود وشراك ... بل اعني

* * *

كيف أسمو بشعوري وانا ماء وطين
والى الارض مصيري وبها احيا ردين
حالة اذ كت سعيري وعذابي والشجون
فاذا الهم نميري والاسى المرمعين
انا اشقى وضميري مرهف في كل حين
انا اشقى وسميري خافق ما زال باك ... بالتغني
لاتلمني انا ان ارسلتها صيحة شاك ... لاتلمني
فانا احيا اسيراً في قيود وشراك ... بل اعني

* * *

قلت ان مسني ضر من تصاريف القدر
واذا ماناب دهر من نكايات البشر
وانا قلب ، وفكر ذو خيال مقتدر
فيه لي ياصاح وكر بل ومغنى مزدهر
لم يصبني فيه شر فيه خير منهمر
مرتع ما فيه اثر لحياة بارتباك ... اوتجن
لاتلمني انا ان ارسلتها صيحة شاك ... لاتلمني
فانا احيا اسيراً في قيود وشراك ... بل اعني